
2
قصص
المبشرون
بالجنة
الحاكم
العادل
سلوى العنانى
دار اللطائف

الحاكم العادل

(عمرُ بنُ الخطابِ)

مرَّ أميرُ المؤمنين يوما بمجموعة من الصبيانِ يتصايحون وهم يجمعون ثمارَ البلحِ المتساقطةَ من عراجينها على الأرضِ .. وما إن رأوه حتى جروا جميعا إلا واحدًا استمر فى جمع ما تركه رفاقُه وهربوا ..

ويقتربُ أميرُ المؤمنين من الفتى مبتسمًا فيبادره الفتى قائلا :

ـ هذا يا أميرَ المؤمنين بلحٌ مما ألقته الريحُ .. ويطلب منه أميرُ المؤمنين أن يرى البلح بنفسه ليتأكد من صدق قولِه .. ويفحصه ، ثم يقول للفتى : صدقتَ .

ويفرحُ الفتى بقولِ أميرِ المؤمنين ، ثم يقول له :

ـ "هل ترى هؤلاءِ الغلمانَ الواقفين هُناك ؟

إنهم ينتظرون انصرافَك ليهجموا عليَّ فيأخذوا ما جمعتُ من البلح .. ويضحك أميرُ المؤمنين ، وهو يربت

على كتفِ الفتى ، ويأخذ بيده حتى باب بيتــه ، ثـم يتركـه وينصرف ..

هذا هو أميرُ المؤمنين (عمر بنُ الخطــابِ بـنِ نفيـل بـن عبدِ العزّى) ...

نعم (عمر بنُ الخطاب) الذى اتسعت دولةُ الإسلامِ فـى عهده حتى حدود الهندِ .. والذى امتلأت خزائن بيـتِ المـالِ فى أثناءه حكمِهِ .. والذى ارتفعت رايةُ الإسلام عاليــةً فـى عصرِه ، وتضاعف عددُ المسلمين .. لكنه كان رجـلا بسـيطا يؤمن بأن حبَّ الناسِ له ورضاءهم عنه هو أعظم ما يظفـرُ به فى الحياةِ ..

لم يكن (عمرُ بنُ الخطابِ) من السـابقين إلى الإسـلام .. بل إنه أمضى ست سنوات من عمـره ومنـذ بـدء الدعـوة الإسلاميةِ يتزعّمُ جبهةَ محاربةِ (محمدٍ) وصحبه ..

خرج يوما من بيته شاهرًا سـيفَه عازمـا علـى المضى إلى (دار الأرقمِ) حيث النبيِ وصحابتهِ .. لكن الله أرسـلَ إليـه من يُوقفه فى طريقــهِ ليسألَه عـن وجهتِـهِ .. ومـا إن علـم بعزمه على قتل النبىّ حتى بادره قائلا :

ـ لبئس السعى سعيك، وبئس المشى ممشاك ..

ثم أخبره أن دينَ (محمد) قد دخل دار شقيقته فاطمةَ التى اعتنقت الإسلام هى وزوجها سعيدُ بنُ زيد .. ومعهم خادمهم خبابُ بنُ الأرتّ ...

ويتضاعف اشتعال النار فى قلبِ (ابنِ الخطابِ) ويغير طريقَه .. فبدلا من (دارِ الأرقم) اتجه إلى دار (سعيد بن زيد) ..

عرفت (فاطمةُ) وزوجُها شخصيةَ الطارقِ .. فليس هناك من يدقّ البابَ بهذا العنفِ إلا (عمر) .. فسارعا بإخفاء (الصحيفةِ) التى كان يقرءان ما بها من قرآن ..

ويواجه عمر شقيقته وزوجَها بما سمع ...

فبماذا يجيب الرجل المسلم (سعيد بن زيد) ؟ ..

قال : "أرأيت يا عمر إن كان الحقُّ فى غيرِ دينك؟" .

وتهبُّ رياحُ الثورةِ العارمةِ ، وينهال (عمرُ) ضربا على الرجلِ المسلمِ وزوجتِهِ ...

هنا تألقت روحُ الإسلام فى نفس (فاطمةَ) ووقفتْ تواجِهُ أخاها رغم ما تعرفُهُ عنهُ من قوةٍ وبطشٍ ..

ـ يا عدوَّ الله . أتضربني على إيماني بالله الأحدِ ؟

إلا ما كنتَ فاعلا .. فافعل .. فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ..

وتزداد ثورةُ (عمر) ويمد يده يريدُ أن ينتزعَ الصحيفةَ من أخته .. لكنها تتمسكُ بها رافضةً .. وتدعوه للاغتسال والتطهرِ قبل أن يلمسها ..

ويمتثل (عمرُ) ويذهبُ ليغتسلَ ، ثم يعود ليقرأ ما في الصحيفةِ ...

بسم الله الرحمن الرحيم (طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى * تَنْزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلا * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) [طه :1 - 8]

ويختنق صوتُ (عمر) بالدموعِ وهو يقول : ـ "لا ينبغي لمن هذه آياته ، أن يكون له شريكٌ يُعْبَدُ معه .. دلوني على محمد".

وفى (دار الأرقمِ) وأمام صحابةِ رسولِ الله وكانوا وقتـها تسعةً وخمسـين رجـلا ... نطـق عمـر بـنُ الخطـابِ بالشهادةِ ...

وسط الفَرحةِ الغامرةِ التى عمتْ المسلمين ومعهم نبيُّهم ـ توجه (عمرُ) بالسؤال إلى الرسولِ عليه السلام ..

ـ "ألسنا على الحق فى مماتنا ومحيانا ؟؟"

ويجيبه الرسولُ : "بلى يا عمر ، والذى نفسى بيده إنكم لعلى الحق إن متم وإن حييتم" ..

قال (عمر) فى حماس : "ففيـم الاختفـاءُ إذن .. ؟ والـذى بعثك بالحق لتخرجنّ ولنخرجنّ معك" ..

هكذا كان دخولُ (ابن الخطابِ) فى الإسلامِ بدايةَ مرحلَةٍ جديدةٍ وخطيرةٍ فى تاريخِ الدعوة ..

لم يعد المسلمون يستخفُون ومعهم نبيُّهم فى شعابِ مكةَ ليصلوا .. بل بدأوا ـ وأولهم عمر بـنُ الخطـاب ـ يجـهرون بإسلامهم .. حتى أنهم أصبحوا يصلون فـى الكعبـةِ علـى مرأى من أقطاب الكفر والشّرك الذيـن أصبحـوا يـهابون المسلمين و (عمر) معهم .. إلى جانب النبى عليه السلامُ ..

وقف (عمر ابنُ الخطاب) وزيرًا .. ومستشارًا .. ومعاونًا .. ومدافعًا عن الإسلام بالقول .. والقتال .. قرّبه النبى منه لَمَّا رأى فيه التقوى، وحسنَ الإيمانِ، والذكاء وقوة الحجة والتواضع، والشجاعة فى إبداء الرأى .. هذه الشجاعةُ التى جعلته يناقش النبىَّ فى آرائه ويطرح عليه البدائل .. هو شىء لم يكن يجرؤ عليه باقى الصحابةِ .. وكان هذا يسعد النبىَّ ويَسره .. حتى أنه أخذ برأى عمر مرات كثيرة لما لمس فى رأيه حجةً قويةً ومنطقا وعقلانيةً ..

ولما رحل النبى وجلس (أبو بكر) على مقعدِ الخلافةِ اقتدى بمعلمه النبىِّ رسول الإسلام، واتخذ من (عمرَ بنِ الخطابِ) وزيرًا أول له يستشيره ويستفتيه ..

ولم لا ؟ .. وقد كانت الخلافةُ قريبةً منه يومَ وفاةِ الرسولِ عندما بسط (أبو بكر) إليه يدَه مبايعًا فى السقيفةِ .. يومها صاح (عمرُ) : بل إياك نبايع يا أبا بكر .. فأنت أفضلُ منى. فقال أبو بكر "أنت أقوى منى يا عمرُ" ..

فرد (عمر) بتواضع الأتقياء : إن قوتى لك مع فضلك يا أبا بكر ... وقد كان ..

وها هى ذى دورة الزمن تدور .. وها هـو ذا (أبـو بكـر) يشعر بدنوِّ أجلِهِ ... وها هى ذى أمة الإسلام أول شـواغله فكان (عمرُ) هو أول الأسمـاء المطروحـة لتحمـل المسئوليةِ ويتقبل (عمرُ) الأمرَ كارها .. فهو عازف عن الخلافـةِ كـاره للإمارةِ .. لكنه لا يملك أن يعتذر عن هذا التكليف ..

ويوم تولى هذه المسئوليَةَ وقف خطيبا ...

"أيها الناسُ .. إنى قـد وليـت عليكـم ولـولا رجـاء أن أكون خيرَكم لكم .. وأقواكم عليكم .. وأشدكَم اضطلاعـا بأموركم مـا توليـت ذلـك منكـم . ولكفـى عمـرَ انتظـارُ الحساب" ...

هكذا لم تكن إمارة المسلمين عند عمر منصبـا ولا جاهـا ولا ثـراء ولا سـلطانًا .. وكـل مـا كـان يخشـاه عمـر هـو (الحساب) .. فماذا لو ظُلم أحدٌ .. ماذا لـو جـاع أحـدٌ مـن رعاياه .. ماذا لو .. قال يوما لعبد الرحمن بنِ عوفٍ :

ـ "يا عبدَ الرحمن .. لقد لنت للنـاسِ حتى خشيت الله فى اللين ، ثم اشتددت حتى خشيت الله فى الشـدة ، وأيـم الله لأنا أشد منهم فَرَقًا(*) وخوفا فأين المخرجُ" ..

(*) فرقًا يعنى خوفا .

وظل يبكى وينتحب حتى قال له (عبدُ الرحمن بنُ عوف): "أفٍّ لهم من بعدِك" ...

وكان (ابنُ عوفٍ) يقصد أن الحكامَ الذين سيأتون بعد ابن الخطاب سيتعبون كثيرا ، فمن فى مثلِ عدله وتقواه ، وصلاحه ، ونزاهته ، وصدقه ، وبره ، وإنسانيته ..

كان الحكْم عندَ (عمر بنِ الخطاب) مسئوليةً .. والمسئوليةُ تعنى عنده القدوةَ ..

تلقى يوما هديةً من (عتبة بنِ فرقد) واليه على أذربيجان فسأل حاملها : ما هذا .. ؟ ..

ـ قال الرجل : "هى حلوى يصنعها أهلُ أذربيجان" .

فتذوقها عمر فوجد لها طعما شهيا .. ثم سأل الرجل :

ـ أكل المسلمين هناك يطعمون هذا ... ؟

فأجابه الرجل : لا .. إنما هو طعامُ الخاصةِ ..

فأعاد (عمر) لفَّ الهديةِ وردها للرجلِ وقال :

ـ أين بعيرُكَ ؟؟ .. خذ هذا وارجع به (لعتبة) وأخبره أن (عمر) يقول له : اتق الله وأشبع المسلمين مما تشبع منه ...

هذا هو (عمر) الذى رفع شعارًا يقول :

"بئس الوالى إن أنا طعمت طيبها ، وتركت للناس عِظَامها" .

هكذا حرّم (عمرُ) على نفسه أكلَ طعامٍ لا يأكلُه كلُّ المسلمين .. وهكذا فعل مع أهلهِ وأسرتهِ .. فلم يكن يمنحهم امتيازًا .. ولا يخصهم بخيرٍ .. وكانوا يعيشون فى مستوى أدنى من باقى المسلمين .. مخافة أن يقولَ الناسُ : خص (عمر) أهلَه بشىء دون غيرهم ...

خرج (عمر) يوما إلى السوق يستطلع أحوال الناسِ فرأى بعضَ الإبل السمانِ المعروضةِ للبيع فسأل عن صاحبها ، وعرف أنها لابنه (عبد الله بن عمر) .. فأرسل إليه ليسأله .. فأجابه (عبد الله) بأن هذه الإبل كانت يومَ اشتراها إبلا ضعيفةً نحيلةً ، فتعهدها بالرعايةِ والطعامِ حتى سمنت فعرضها للبيع ..

وخشى (عمر) أن تكون هذه الإبلُ مقدَّمةً فى الرعى والسقيا لأنها إبلُ ابن أمير المؤمنين .. فأمر ابنَه فباعها وأخذ رأسماله ، ثم رد الربح لبيت مال المسلمين ..

اتسعت دولة الإسلامِ فى عهدِ (عمر) ـ والذى استمر ما يزيد على عشرة أعوام ـ فوصلت رايةُ الإسلامِ إلى أفغانستان شرقا .. وضمت وسط آسيا والعراق والشام ومصر .. وكان ضروريا أن يكلف ولاةً يعاونونه ويمثلونه فى هذه البلادِ، فيجبون الضرائبَ ويحكمون بين الناسِ، ويعلمونهم أمورَ دِينهم .. وكان يعتبر نفسَهُ مسئولاً عن أى خطأ يرتكبه أى من هؤلاء الولاةِ .. علم بها (عمر) أو لم يعلم، لهذا كان شديدَ الحذر فى اختيارهم، يحاول أن يجد منْ يكون على مستواه فى التقوى والحزم والرأفةِ والخوفِ على الناسِ .. قال يوما لأصحابهِ : "أرأيتم إذا استعملت عليكم خيرَ من أعلم، ثم أمرته بالعدل .. أيبرئ ذلك ذمتى ؟ ...

قالوا : نعم ..

قال لهم عمر : كلا .. حتى أنظر فى عمله .. أعَمِلَ بما أمرته أم لا .. أيما عامل لى ظلم أحدًا، وبلغتنى مظلمته فلم أغيِّرها فأنا ظلمته" .

لله درك يا (عمر) ... يا فاروق الإسلام .. أيها الحاكم

الذى لم ولن يجود الزمان بمثلك .. عادلا حكيما يختار مِنْ أصحابِهِ من يثقُ فى قوته وصلاحِهِ وعدلِه وحكمتِه ورحمتِه ليوليه على الناسِ .. وكان ينهاهم عن أربع حتى يستقيم لهم أمرهم ...

لا تركب دابةً مطهمةً .. لا تلبس ثوبا رقيقا .. لا تأكل طعاما رافها .. لا تغلق بابك دون حوائج الناس ..

إذن هو يريدهم متواضعين متقشفين قنوعين يعيشون من أجل الناسِ ولخدمةِ الناسِ ... فهو يريد هذا الوالى كما قال يوما : "رجلا إذا كان فى القوم وليس أميرا لهم بدا وكأنه أميرهم، وإذا كان فيهم وهو أميرهم بدا وكأنه واحد منهم"...

ولعل قصة (عمر بنِ الخطابِ) مع المصرى الذى جاء يشكو ابن الوالى (عمرِو بن العاص) لخيرُ دليلٍ على قوةِ هذا الرجلِ.

فقد جاء مصرى إلى أمير المؤمنين عمر يشكو له (محمدَ بن عمرو بن العاص) فقد فاز المصرى على ابن الوالى فى سباق بينهما فما كان من (محمد) بن (عمرو بن العاص)

إلا أن ضرب المصرىَّ بالسّوطِ ، وهو يقول له : خذها وأنا ابن الأكرمين ..

فأرسل (عمر) يستدعى (عمر بنَ العاصِ) وولدَه ويعطى المصرى سوطَه .. ويقول له : اضرب ابن الأكرمين ..

ويأخذ المصرى السّوطَ من يد (عمر) وينهال على (محمد) ضربا و (عمر) يقول له : اضرب ابن الأكرمين .. ولما انتهى المصرى .. قال له عمر :

اجعلها على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك إلا بسلطانه واعتذر المصرى .. لأنه ضرب منْ ضربه ... وهذا يكفيه .

فالتفت (عمر) إلى ابن العاص وقال : يا عمرو متى استعبدتم الناسَ وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا .. أليس هذا هو أول حق للإنسان فى الحياة ... أن يكون الإنسان حرًا ..

اتسعت الإمبراطوريةُ الإسلاميةُ على يد ابن الخطاب فكان لابد أن يؤسس (ديوانا) لضبط المال .. وكان أول من أحصى عددَ المسلمين كى يفرضَ لكلٍّ منهم عطاء يناسبه .. وكان لابد أن يعيّن القضاةَ لفض المنازعات بين الناسِ .

وشعر (عمر) أن التاريخ لابد وأن يسجّلِ فتوحات

المسلمين وانتصاراتِهم .. ورأى أن يكون هناك تأريخ إسلامىٌّ يبدأ مع بدايةِ العامِ الذى هاجر فيه النبىُّ عليه السلامُ من مكةَ إلى المدينةِ .. وهو التأريخ الذى نعرفه (بالهجرى) ..

وهكذا أرسى (عمر) دعائم دولةٍ قويةٍ ووضع لها ركائزَ نموِّها وازدهارِها ..

خرج (عمر) لحج بيت الله الحرام فى العام الثالث والعشرين للهجرةِ .. وكان قد مضى عليه عشرة أعوام وهو أميرٌ للمؤمنين .. لم يكن قد طعن فى السّن .. فعمره لم يكن قد تجاوز الأربع والستين .. لكن عبء المسئولية كان قد أثقل كاهِلَهُ ...

كان صباح يوم الأربعاء السادس والعشرين من ذى الحجة ، وقد وقف عمرُ فى المحراب يصلى وإذا بشخص يتّجه إليهِ وقد أخفى فى طيات ثوبه شيئا . وما إن اقترب من (عمر) حتى أخرج خنجرا ذا طرفين وطعنه به ثلاث طعنات ولاذ بالفرار .. وتصايح المسلمون وطاردوه فطعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم ستة .. فألقى عليه (عبد الله بن

عوف) ثوبا فوقع على الأرض ثم طعن نفسه طعنةً قاتلةً .. لقد أدرك أنه مقتول مقتول ..

حُمل ابنُ الخطاب إلى بيتِه مضرجا بدمه .. وسأل عن قاتله فقالوا له : هو أبو لؤلؤة وهو (فتى مجوسى الأصلِ) .. غلام المغيرة بنِ شعبة .

فقال : الحمد لله الذى لم يجعل منيتى إلا على يد رجل يدعى الإيمان ولم يسجد لله سجدةً ..

هكذا كانت نهايةُ هذا الرجلِ العظيمِ الذى لم ولن يجود الزمانُ بمثله أبدا .. بعد أن أوصى بأن يكون الأمر شورى بين صحابةِ رسولِ الله .

ورفض أن يختار خليفةً له .. فالأمرُ شورى بينهم ..